باب الأخبار والآراء

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيدا وطنيا للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسميا . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الاول مولانا محمد الخامس بذلك، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذا بهجة وفخامة لم يعهد لها نظير، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة بمحض أريحيتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز الى دور الكبراء لعلمه انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إنفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وان كان مما نهبه بجاه عبد الحميد من مال الامة أو مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المنار في مقالة عنوانها (الشعور والوجدان، وشعائر الامم والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هنالك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الامم بالمعنى الذي وضع العيد لاجله سواء كان دينيا أو اجتماعيا ومما قلناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا لملوكهم أعيادا لإحياء الشعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعتزون بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والأمة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويفتقر به المفترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » »

وقد مزجنا في هذا بين ماهو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بقدوم الأمير من أوربا فبينا ان الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وانما يحتفلون بالملوك والامراء لذواتهم لا لمعنى وطني عام . قلنا « والصواب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر مالهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور فترى بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله وحبه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذكرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بعظمته في نفوس من لم يذوقوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا بمقته وبغضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب

ان تقوية الشعور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الامة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الامة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركا معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحببه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حيثما كانوا ، وأينما حلوا ، وستكون عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بفائدته

ألفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، والقيام بما يحسن من الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، واذا قوبل الخاص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخاص ، ، وسيكون احتفالنا في حديقة الازبكية ، بكيفية لم يعهد لها نظير في الاعياد القومية ولا الرسمية ، تتجلى فيها الحديقة متلألئة بالانوار الكهربائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانية ، وتأتلف فيها اصوات اشهر المطربين ، بنغمات احسن آلات الموسيقيين ، وتعرض فيها الصور المتحركة البديعة ، لا سيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ، وغير ذلك من أسباب الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك زينات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتتجلى بهذه الاحتفالات عثمانية المصريين واخلاصهم للدولة العلية كما يتجلى فيها حبهم للدستور ومعرفتهم لقيمته

يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسية محظورة في الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيد النحر فالزيادة عليهما بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقلنا له ان البدعة الدينية انما هي فيما يعمل على انه من الدين فقولك هذا إنما يصدق على الموالد التي صبغت بصبغة الدين دون هذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لا صبغة للدين فيها . ثم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لمقصد ضار كتعظيم الملوك الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لمقصد نافع كتعزيز الأمة ورفعة شأنها

المشتركون المماطلون

بعض المماطلين في القطر المصري معذور بما أصابه من العسرة المالية وبعضهم يعتذر بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروسيا الذين كنا نعدهم أحسن المسلمين وفاء كادوا يكونون كأهل تونس مطلا وهضما